الانتـــــداب الفرنسى
فى بلاد الشرق

للأستاذ بيير فينو

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

ما هى الظروف التى أحاطت بمفاوضات المعاهدة ؟

ولنتساءل الآن : ما هى الظروف التى أحاطت بمفاوضات المعاهدة السورية الفرنسية ؟

ليست البلاد السورية بلاداً منعزلة فى محيط بعيد ، ولكنها على النقيض من ذلك تقع فى قلب العالم وتخضع لتيارات من التأثيرات العميقة : أهمها سياسة انكلترا فى البلاد العربية المجاورة كمصر والعراق

ومهما يكن شأن تلك السياسة فنحن لا نستطيع أن ننكر أنها ساعدت فى مختلف مراحلها على إثارة الشعور العام فى البلاد التى تخضع لانتدابنا

وأول ذلك أن انكلترا وعدت الشريف حسين سنة ١٩١٤ بالمساعدة على تأليف الامبراطورية العربية ، ثم إنها اتخذت بعد الحرب سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياستنا نحن ، فقد عقدت سنة ١٩٣٠ معاهدة مع العراق كانت نهاية للانتداب البريطانى وفاتحة لانتظام العراق فى سلك جامعة الأمم . وفى سنة ١٩٣٥ بدأت مفاوضاتها مع مصر لعقد معاهدة صداقة وتحالف ... وما من شك فى أنه كان لهذه السياسة أثر كبير فى سوريا التى كانت ترقب مجرى الحادثات فى غليان وقلق

وقد أثبت ذلك سلسلة الوقائع المتأخرة ، ففى ١٠ يناير ١٩٣٦ قرر الحزب الوطنى[1] اتباع سياسة سلبية مطلقة وإعلان الإضراب العام إلى أن تجاب مطالب سوريا فى الوحدة والاستقلال . وضم الإضراب سلسلة من المآتم وأسفر عن ٦٠ قتيلاً ومئات من الجرحى ، واضطر مندوبنا فى سوريا مسيو (دومارتل) أن يستشير وزارة الخارجية ، وكان على رأسها المسيو فلاندان فأشار بفتح باب المفاوضات مع وطنيى سوريا

وقد انبثق عن هذه المفاوضات بين زعماء الحركة الوطنية وبين المفوض السامى تصريح أول مارس سنة ١٩٣٦ الذى نص على وجوب عقد معاهدة فى باريس بين وزارة الخارجية ووفد مفاوض تنتخبه البلاد ، على ألا تقل هذه المعاهدة عن معاهدة انكلترا والعراق

ولا شك أن هذا التصريح كان يحمل طابع الضعف ، لأنه صدر إثر تهديد شعبى قوى لم تتمكن الإدارة الفرنسية من أن تصمد له ، ولكنه مع ذلك ضرورى لازب ، لأنه كان على فرنسا أن تختار بين العناد والمقاومة وبين الاتفاق والمسالمة — كما أسرق بذلك المندوب السامى فى فبراير ١٩٣٦ — وطبيعى جداً ألا تزج فرنسا بنفسها فى مغامرة جديدة بعد تجربة الثورة السورية الكبرى فضلاً عن أنها ترغب فى أن تفى بوعودها المتقدمة

ولقد وجهت بعض الاعتراضات على انتخاب أعضاء الوفد المفاوض ، ولكن الواقع يضطرنى إلى أن أقول إن هؤلاء الوطنيين المفاوضين هم الذين ناضلوا فى سبيل بلادهم ، وإنهم كانوا مصدر الصعوبات التى وجدناها فى سوريا ، وإن فشل معاهدة سنة ١٩٣٣ أظهر فى كثير من الجلاء ضرورة التعاون مع الجماعات الوطنية للوصول إلى تعاقد مُرضٍ حاسم

يقولون إن رجال الوفد المفاوض ليسوا أصدقاءنا — ولكنه قول خاطئ — لأن خصومة الانتداب لا تعنى بالضرورة خصومة فرنسا

ولنسلم جدلاً أن ذلك صحيح ، أو ليست السياسة أن يسالم الرجل أعداءه لا أصدقاءه ؟

المعاهدة

لقد كان الغرض الرئيسى من التعاقد استبدال الانتداب الفرنسى بمعاهدتين مع سوريا ولبنان . وابتدأت المفاوضات فى منتصف شهر مارس ، وكانت تقتضى منا أن نوجه انتباهنا إلى كل ما يجرى حولنا ... ففلسطين كانت تخوض غمرات ثورة حمراء كنا نخشى أن يمتد لهيبها إلى سوريا ، وفى المغرب تتأجج

(١) يقصد فينو من «الحزب الوطنى» الكتلة الوطنية التى كانت إلى أمد قريب من أكبر الأحزاب القائمة ثم تصدعت أركانها وانفرط عقدها فى الأشهر الأخيرة (المترجم)

الاضطرابات العنيفة ضد فرنسا عند كل بلبلة فى الشرق الأدنى ، ولهذا لم يكن فى وسعنا أن نقف فى المفاوضات موقف الآمر الناهى ؛ وإنما كنا نستمع إلى جلسائنا ومناقشهم ومجادلهم وسأبدؤكم بالحديث عن المعاهدة السورية :

لقد كان تصريح أول مارس مؤكداً لاستقلال سوريا ، أما المعاهدة فتصرح أن هذا الاستقلال يتحقق فى انتساب سوريا إلى جامعة الأمم كما تشترط فترة انتقال تمتد ثلاث سنوات تمتحن فيها مقدرة السوريين على الإدارة والحكم .

على أن أطرف المشكلات التى اعترضت المفاوضات مشكلة العلاقات السورية اللبنانية ؛ ويهمنا كفرنسيين أن يبقى لبنان فى منجوة من طغيان الوحدة السورية .

ومع هذا فيجب أن نقرر أن الوطنية السورية تجد فى لبنان عناصر مؤيدة فعالة ؛ وذلك أن عدد سكان لبنان ٨٥٠٫٠٠٠ أكثرهم من المسيحيين[1] ، ولكن بعض المدن مثل طرابلس التى تنتهى فيها أنابيب بترول الموصل مسلمة كلها . وقد أثبتت التجارب أن من الصعب أثناء الاضطرابات والقلاقل السياسية أن تحول السلطات دون ظهور الشعور الفعال فى الأطراف الأخرى ...

ولقد عرفنا ذلك ١٩٢٠ — ١٩٢١ فى لبنان الجنوبى ومنطقة العلويين ؛ وفى سنة ٢٦ كان اتحاد الدروز مع وطنيى دمشق مثلاً رائعاً لهذه الألفة . وفى يناير ١٩٣٦ خضعت طرابلس المدينة اللبنانية إلى حركات الوطنيين فى دمشق فشاركت فى الإضراب العام . ومن هنا ظهرت لنا ضرورة العناية باستقلال لبنان وانفصاله لما له من أهمية رئيسية بالنسبة إلى فرنسا

ولقد كانت المفاوضات فى هذه الناحية — ناحية العلاقات بين سوريا ولبنان — صعبة عسيرة ، ولكنها انتهت أخيراً إلى عزلة كل من البلدين عزلة كاملة ؛ لأننا عارضنا بقوة وشدة كل محاولات طغيان سياسى أو اقتصادى سورى على لبنان

أما مستقبل العلاقات بين فرنسا وسوريا ، فقد كانت مدة التعاقد التى نصت عليها المعاهدة خمسة وعشرين عاماً تقوم سوريا خلالها باستشارة فرنسا فى الأمور المشتركة بين البلدين

وأما الناحية العسكرية فقد سويت فى ملحق خاص واعترضها بعض العقبات الكثيرة التى استطعنا أن نتغلب عليها بفضل مهارة المفاوض السورى ومرونة خلقه السياسى

ويختلف الملحق العسكرى فى المعاهدة السورية عن الملحق العسكرى فى المعاهدة العراقية — الإنكليزية ، التى تنص على بقاء قاعدتين جويتين للطيران الإنكليزى ، وعلى تحديد مناطق النفوذ البريطانى ، بينما يمتاز الملحق العسكرى للمعاهدة السورية بأنه يدع مناطق النفوذ من غير تحديد ويترك لفرنسا حق الاحتفاظ بمركزين لجيوشها فى مقاطعتى العلويين وجبل الدروز

أما حماية الحقوق والمصالح الفرنسية فمن الطبيعى أن نقول إن المعاهدة صانت هذه الحقوق فى نصوص واضحة ، ولا سيما ما يتعلق بالمصالح الاقتصادية والحقوق المكتسبة للأشخاص الماليين والفنيين ، وتعهدت بالإبقاء على نظم المؤسسات العلمية الحاضرة وبعثات الحفريات ومعاهد الدراسة الأجنبية ؛ ونصت كذلك على استخدام ثمانين مستشاراً فرنسياً فى نواحى الإدارة . وقد كان هذا كله ضرورياً من أجل البلاد التى انتشرت فيها ثقافتنا بفضل البعثات التبشيرية واللادينية «Laïques»

هذا فيما يتعلق بالمعاهدة السورية ، أما عن المعاهدة اللبنانية فأستطيع أن أقول إنها نسخة ثانية من المعاهدة السورية ، ولكنها تمتاز بأن مدة التحالف التى حددت بـ ٢٥ سنة فى المعاهدة السورية يمكن تجديدها ثانية فى المعاهدة اللبنانية لمدة مساوية ؛ وأن القواعد العسكرية لا تخضع لحدود معينة فى التمركز والتنقل والمناورات .

وأخيراً قد استطعنا بواسطة هذا النظام الجديد أن نوطد مقامنا فى لبنان وأن نثبت أركانه .

تلمسان

شكرى فيصل

(١) من الأوهام الشائعة أن أكثرية لبنان مسيحية على حين أن الاحصاء الأخير يثبت أن لبنان موزع مناصفة بين المسلمين والمسيحيين على السواء (المترجم)

الافصاح فى فقه اللغة

معجم عربى : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويحفظك بالفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لايستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب ، ثمنه ٢ قرشا يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدى